ندوة «مدارات غربية» حول الغرب وإسرائيل وفلسطين

❖جان بول شانيولو: إسرائيل هي تعويض أوروبي عن المحرقة

❖ تييري هينتش: البروتستانتية الأميركية تعتبر فلسطين حقاً ثابتاً لليهود

حاورت «مدارات غربية» كل من المفكرين الغربيَّين، الفرنسي جان بول شانيولو والكندي تييري هينتش، حول الصراع العربي ـ الإسرائيلي بعد رحيل الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات. ولسوف يلاحظ القارئ كيف أن إجابات شانيولو وهينتش جاءت بطريقة الردود على أسئلة موحَّدة. فذلك عائد لتعذر اجتماعهما معاً وقت واحد كما كان ذلك مقرراً في مكتبنا في باريس. وأياً يكن الحال، فإن منطق القراءة لدى المفكرَين الفرنسي والكندي، بدا مكتظاً بأسئلة هي غالباً ما تترجم واقع النقاش في الغرب بإزاء تحولات وتطورات المسألتين الفلسطينية والإسرائيلية.

م . غ

❋ جان بول شانيولو
أستاذ جامعي في العلوم السياسية
مدير تحرير مجلة «confluences Méditerranées».
أشرف ونشر وشارك في عدة مؤلفات منها:
– إسرائيل، فلسطين: السلام ممكن (باريس، نشر لارماتان، 2004)
– فلسطينيون وإسرائيليون، لحظة الحقيقة.
(باريس، نشر لارماتان، 2000)
– العلاقات الدولية المعاصرة.
(باريس، نشر لارماتان، 1999).

❖ على ماذا يدل قول بعض المثقفين الغربيين بأنه يجب الاستفادة من موت ياسر عرفات من أجل إعادة دفع مسار السلام بين الفلسطينيين و الاسرائيليين. هل يعني هذا أن بإمكاننا من الآن و صاعداً الاعتماد على الغرب و على اسرائيل من اجل تدخل أكثر عمقاً في هذا المسار؟ أم أن الأمر يتعلق بمسألة أخرى، هي ليست فقط موت و حياة هذا الزعيم أو ذاك، و إنما أيضاً في عمقها و تعقيداتها الكبرى ؟ كيف يمكنكم تخيل اعادة دفع عملية السلام في ظل غياب زعيم كان يمتلك شرعية غير مشكوك فيها، و هو في ظل «الموزاييك» (mosaïque) الفلسطيني الحالي بقي مجسِّدا لأهم تقاطع، أو جامع للقوى (Fédérateur) و ممسكاً بكل السلطات والمؤسسات الفلسطينية ؟

شانيولو: لا جدال في أن موت ياسر عرفات يفتح صفحة جديدة من التاريخ الفلسطيني، الذي طبعه هذا القائد عميقاً بطابعه. إنها ليست مجرد صيغة القول بأن عرفات كان أب الأمة الفلسطينية. إنها حقيقة اجتماعية وتاريخية في آن. لهذا، لا يجب صنع الأوهام: فذلك لا يغير بالتأكيد شيئاً في موقف حكومة شارون التي سترفض غداً كما اليوم التفاوض حول الملفات الأساسية. سيقول شارون لا لتقاسم القدس، ولا لعودة اللآجئين، ولا لتفكيك المستوطنات الكبيرة، في الضفة الغربية، ولا لدولة فلسطينية قابلة للحياة تتمتع بأراضٍ متصلة فعلية. ويمكن له أن يعتمد على بوش كي يسانده في هذه المسائل الحاسمة. أما بالنسبة إلى الأوروبيين ، وكما يعلم الجميع، فإن ثقلهم في هذه المسألة يبقى محدوداً.

حاورهما: **د. محمد نعمة**

تعريب: **فريق «مدارات غربية»**

تييري هينتش : لن يغير موت ياسر عرفات الموقف الرئيسي لكل من الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل، في المستقبل المنظور. وعلى الأغلب ، سوف تحصل

تغييرات تكتيكية يتعلق قسم منها بما سيتخذه خلفاء عرفات ،وسلطتهم الفعلية، من إجراءات حيال مختلف حركات المقاومة. ولسوف يقوم القادة الإسرائيليون الحاليون بكل ما في وسعهم من أجل جعل الرأي العام الفلسطيني منقسماً ، وبالتالي تحويل مهمة السلطة الجديدة إلى مهمة مستحيلة. وهكذا يواصلون الادعاء بعدم وجود «مفاوضين ملائمين» أمامهم. إذن فإن المهمة التي تنتظر رئيس السلطة الفلسطينية الجديد ساحقة، وهي تتطلب شخصية ذات مكانة و حنكة و إصراراً غير عادي.

❖ أمامنا المعادلة التالية: أوروبا العاجزة عن أخذ المبادرات، والولايات المتحدة في انحيازها إلى سياسة اليمين الاسرائيلي المتصلب. تبعاً لذلك أفلا يؤمِّن الغرب لهذه الحرب التي لا إسم لها عنصر الاستمرار ؟ ثم ألا تعتقدون بأن هذا الصراع الذي يشغفنا (Passionner) **ويرعبنا، و يكبحنا، هو على هذا النحو من التفاعل. لأنه يُظهر لنا الآن، جراء ارتداداته، مرارة واقع الزلزال المدمر، أي « المحرقة»** (Holocauste) **ويجعله سبباً دائماً لعدم الاستقرار؟**

شانيولو: الغرب وأوروبا خصوصاً، متورط في هذا النزاع. لأنه يجد فيه جزءاً من نفسه، ومن تاريخه، ومن ذاكرته. وبالتأكيد، هناك بالنسبة إلى أوروبا شعور عميق بالذنب بسبب «المحرقة» (shoah) ويحظى بشرعية استثنائية، لأن ولادة الدولة قد جرت معايشتها، على نحو لا واعٍ بشكل أو بآخر، وذلك كشكل من التعويض عن المأساة التي تعرض لها الشعب اليهودي.

ومنذ ذلك الحين، يتمتع الشعب اليهودي بسقف سياسي، أي دولة تسمح له التحكم بمصيره. ويجب فعل كل شيء حتى لا تواجه هذه الدولة أي تهديد.

والحال، اعتقد أن هذا البعد من القوة، يحفِّز الفرنسيين بشكل عام، على ألاَّ يقيموا اعتباراً خاصاً للعرب والمسلمين. وهذا يقود إلى خلط متعدد الوجوه حيث يمكن لبعض أشكال العنصرية أن تظهر في أي لحظة.

تييري هينتش : الموقفان الأوروبي والأميركي محكومان بالطبع بشعور شائن وغير مغتفر بالذنب. وهو الناتج ،عند الغرب برمته، عن «المحرقة» التي تعتبر ،من دون شك، العامل الأساسي لظهور مثل هذا الشعور. يضاف إلى ذلك التناغم الثقافي، والمعتقدات الدينية، خصوصاً مع الولايات المتحدة حيث تشكل فكرة أن فلسطين هي حق لليهود ،جزءاً من الإيديولوجية البروتستانتية الأصولية. كما يوجد صهيونية مسيحية تَعتبر إعادة الشعب اليهودي إلى فلسطين محطة ضروريةً من أجل عودة ثانية للمسيح، حيث من المفترض أن ينضم اليهود أنفسهم إليه. إن إحدى خصائص الموقف الأميركي في هذا الصراع هو أن الإيديولوجية تتقدم على المصالح البعيدة الأجل.

يردّد الغرب من دون ملل «كفى هذا»، أما «هذا» فيشير في الوقت نفسه إلى الماضي وإلى رغبة. من وجهة نظري، في اللاّمبالاة التي هي أكثر خطورة، لأنها تتنكر

تييري هينتش : مفكر كندي وأستاذ الفكر السياسي في جامعة كيبك في مونتريال،شغوف بمسألة الهوية. عمله يدور حول التمثلات الكامنة في العلاقات بين الثقافات ،وحول مصادر المتخيل الغربي. من مؤلفاته : L'Orient imaginaire, Paris, Editions de Minuit, 1988 Introduction aux fondements du politique, Canada, Presse de l'Université du Québec, 1993 Raconter et mourir, L'Occident et ses grands récits, Paris, Editions La croyance, Bréal, 2002 Paris, Editions Bréal, 2003

(Négation) لآلام الآخر في الحاضر كما في الماضي. و اذا كان هناك من معنى قيمي (Ethique) وعميق لـ «كفى هذا » فهو بالتحديد أن لا أكون غير مبالٍ لأي ألم. مهما كان مصدره. لامبالاة الغرب تجاه القضية الفلسطينية لا تعود إلى فترة الانتفاضة الثانية. إنها لامبالاة مزمنة (Chronique) ومتجذرة و ترجع إلى إنشاء دولة إسرائيل. ثمّ لماذا دفع الغرب الناجين (Rescapés) من رعبه في اتجاه هذه الأرض. وهي التي لم تكن يوماً غير مأهولة ؟ وبالمعنى الجيوستراتيجي للكلمة، لمَ هذا التجاهل لوجود شعب على هذه الأرض؟ أما بالمعنى الايديولوجي للكلمة، فلمَ هذا التجاهل الذي لا يزال يستمر عقوداً إثر عقود؟ وأخيراً كيف يمكنكم تفسير هذه التجاهل الحداثي -Négli) (gence moderne تجاه الشعب الوحيد الذي يبقى من « دون أوراق»، من « دون جواز سفر»؟

شانيولو: هذا السؤال يتوافق مع إجابتي السابقة، كانت فرنسا ولزمن طويل قوة استعمارية. لقد هيمنت على المغرب كله وبأشكال مختلفة على قسم من المشرق. وبدا دعم إسرائيل ولفترة طويلة أيضاً، كامتداد لهذه الهيمنة على العالم العربي. وإذا عرضنا الأمور على نحو آخر: أن الشعب الإسرائيلي المكوَّن من رجال ونساء قدموا من أوروبا، كان لهم أن يقاتلوا الخصم نفسه: العرب.

الحملة على السويس عام 1956 هي مثلٌ جيد على هذا الموقف الأساسي: إسرائيل وبريطانيا العظمى وفرنسا هاجموا مجتمعين مصر. كانت مصالحهم مترابطة بالكامل... العلاقات المميزة جداً بين الولايات المتحدة وإسرائيل هي اليوم مثال جلي.

تييري هينتش : يوجد على الأرجح في الغرب، الشعور بأن المصيبة قد وقعت، وما من مجال للعودة إلى الوراء. وهذه المصيبة هي حتماً نتاج الإحتقار ذاته الذي غذّى، خلال الحقبة نفسها) أي في الوقت الذي نشأت فيه حركة هيرتزل وتوسعت(معاداة السامية الحديثة والاستعمار. كان مطلوباً للمسألة اليهودية أن تكون منفية لدى «المستَعمَرين» الذين يُنظر إليهم كمستويات دونية ومتخلفين تاريخياً. وبذلك نكون قد أصبنا عصفورين بحجرٍ واحدٍ إذ تخلصنا من مسألة محرجة، ومن اليهود أنفسهم، و ذلك من خلال إرسالهم كرواد فعالين إلى منطقة همجية وعاصية على الحداثة. بهدف جعل سكانها إما حضاريين و إما عاجزين. إن مفهوم الاستعمار هذا، لم يعد يُقرُّ به. ومع ذلك فإن إسرائيل موجودة. إن ذلك لأمر واقع. إذ لا أحد في الغرب يعيد وضعه موضع تساؤل و هذا محق. أما المشكلة فهي تكمن على الأرض، في استمرار تمدد المستوطنات من دون أية إكراهات جدية من قبل الغرب لوضع حدٍ لهذه الحركة الاستيطانية. لقد بات من الصعب جداً على أحد نقد إسرائيل من دون أن يُتهم بمعاداة السامية. وحتى عندما يجري النقد من قبل يهود في إسرائيل، أو في خارجها –وهناك من هؤلاء أكثر بكثير مما نتصور– فإنهم عندئذ يتهمون بكره أنفسهم. وحسب معرفتي فإننا في الغرب لم نَتهم يوماً بالعنصرية، من ينتقد سياسة الحكومات العربية، ولا أولئك المنفيين العرب، الذين يشهّرون بالأنظمة، و التي فروا منها يرتضون

بكراهية أنفسهم. كل هذا لهو خبيث قطعاً. و كما يظهر بنظر الغرب فإن إسرائيل ليست كغيرها من الدول .

❖ هل تعتقدون بأن الغرب يهرب من شبح المعاداة للسامية القابعة في ماضيه، عبر لامبالاته تجاه الجرح الفلسطيني والذي يمكنه، بنظر الغرب، إعادة إحياء شروره الدائمة الكمون (Latence) ؟ **لماذا اخترع الغرب مأزقة المركب هذا: اللامبالاة حيال قضية عادلة لشعب أقتُلِعَ وهو يُذَلُّ الآن على أرضه. والالتزام التكفيري عن ذنب ارتكبه** (Réparation de sa culpabilité) **تجاه شعب آخر أهين وانتزع من محيطه و من تاريخه الغربي الطويل لسبب أوحد : لأنه شعب يهودي؟**

شانيولو: حريٌّ القول أن الغرب اندفع في هروب إلى الأمام، اقتصادي وتكنولوجي جعله يُغيِّب عن ناظريه القيم الأساسية. المسألة الفلسطينية ببساطة هي بلا أهمية عند كثير من الفرنسيين. لا يفكرون فيها. إنها ليست مشكلتهم. في المقابل، عندما تلزمهم الأحداث الجارية فجأة، فإنهم يبدأون الاهتمام بها، ويجب ملاحظة أن الرأي العام الفرنسي قد تطور كثيراً في خلال عشرين سنة. إذ إن أكثرية واضحة تعتقد أنه يجب على الفلسطينيين الحصول على دولتهم إلى جانب إسرائيل، وعلى العكس، يتمتع شارون قليلاً مثل بوش بصورة سيئة في فرنسا، في حين أن موقف شيراك حول النزاع مقبول جداً بشكل عام وحتى تجري مؤازرته في فرنسا.

تييري هينتش : أعتقد أنني سبق وأجبت، بشكلٍ ملخص، عن هذا السؤال الذي يتطلب شرحاً مطّولاً. في هذه المسألة، لقد وقعنا كغربيين في الفخ الذي نصبناه نحن. فالصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني راح يصير مشكلة داخلية خطيرة بالنسبة إلى مجتمعاتنا. إن المردود الوحيد الممكن من هذه الخطورة المتفاقمة هو بإجبار الحكومات الغربية على القيام بعمل ما من اجل تشجيع حل سلمي للصراع. ولكنها، في الوقت الحالي، لم تباشر شيئاً بهذه الوجهه . فالأوروبيون ليس بيدهم حيلة، والأميركيون لا يريدون التحرك، لأنهم لا يرون إلى الأمر على أنه مشكلة داخلية، بل ربما هم، غير مستائين من كون أوروبا قد تكون ملغومة بهذه المسألة بالذات.

❖ إذا كان الشعور القومي أو «ألقوموية» (Nationalisme) **و الشعور بالعظمة في الغرب، قد شكلا «كوكتيلاً» من الحقد، هل يمكننا القول بأن ما بين الفلسطينيين و الإسرائيليين من نزوع قومي، و شعور بالاضطهاد أو بالضحيوية** (Victimisation) **إنّما يؤلفان «كوكتيل» الحب؟ ألا تعتقدون بأن على الغرب مسؤوليات جساماً بالنسبة لهذا الصراع، و خصوصاً عندما دفعوا اليهود والناجين دفعاً، و بكل الوسائل وعلى كل المستويات، نحو تقليده «القومي» ليخترع بدوره أطروحة الدولة – الأمة؟**

شانيولو: مزيج من الحب؟ لا أفهم جيداً ماذا تريد أن تقول... يمكن القول على المدى الطويل، وبعد إنشاء الدولة الفلسطينية إنه لا يمكن استبعاد تخيل علاقات قوية بين الدولتين وبين الشعبين. بالتأكيد بشرط إقامة سلام عادل، وأن يؤكّد القادة الكبار

أنفسهم على ذلك داخل البلدين كي يبينوا طريق المصالحة التاريخية، وكما فعل ذلك على سبيل المثل ديغول، وأديناور عام 1958 بين فرنسا وألمانيا.

تييري هينتش : نعم، على عاتق الغرب مسؤولية تاريخية كبيرة بالنسبة إلى هذا الصراع . ولكن القوموية الحديثة تبدو ،أكثر فأكثر، كمحرك استبعادٍ، هو أقوى من أن يستظلّ في مبادئ تُعرف بأنها كونية. أنشأت إسرائيل، و للمفارقة، دولتها على النمط القومي، الذي لطالما عانى منه يهود أوروبا. وإذا ما توصل الإسرائيليون والفلسطينيون إلى تفاهم على أنهم جميعهم ضحايا قوى غربية ،فعندئذٍ من الممكن تصور بدء تقارب وتفاوض حقيقي.

❖ هل يمكنكم تخيل الشرق ـ الأوسط الحالي فيما لو وصل اليهود الناجون إلى الأرض المقدسة، وهم غير مأخوذين بفكرة الدولة ـ الأمة اليهودية على الطريقة الأوروبية، وبالتالي غير حاملين لخطط « تقسيم» ألأرض، و إنما كعارضين لمشروع مجتمعي يرتكز على روح التقاسم (Partage) والضيافة، وإلى قيم الحرية و الكرامة لكل مواطن في هذه الأرض، فلسطينياً كان أم يهودياً؟

شانيولو: لا، هذا لا يمكن تخيله. في التشكل التاريخي لهذا العصر، تظهر الدولة الأمة بمثابة الصيغة السياسية الوحيدة القادرة على الرد على المأساة الرهيبة التي عاناها اليهود. من وجهة النظر هذه، كانت الصهيونية طموحاً مشروعاً. والآن، يجب تجاوز هذه الصلة بالصهيونية السياسية، ويدور في إسرائيل الآن نقاش حول هذا الموضوع.

لكن، لا أحد يمكن أن يدعي إلى حد ما، أنه لن يكون للفلسطينيين بدورهم أيضاً الدولة– الأمة الخاصة بهم. وللذهاب بعيداً، فإن هذه المرحلة التاريخية لا يمكن الالتفاف عليها قطعاً.

تييري هينتش : ليس ممنوعاً علينا أن نحلم، في بعض الأحيان. وحين يكون الوضع على الأرض غير مشجع، يصبح الحلم من الضرورات الإنقاذية. بعد فوات الأوان، نقول بأنه لا يمكننا أن نغير بالروحية التي من خلالها أُنشئت اسرائيل. ببساطة، يستحق هذا الحلم الإشارة إلى وجود روحية أخرى محتملة لأجل المستقبل . ولكنه يتطلب وقتاً ، وكنزاً من الإرادة الطيبة وقدرة خارقة على التحليل الذاتي. والعنصر الوحيد المشجع في الوضع الحالي، هو أن الإنتقادات التي تعلو في داخل إسرائيل ذاتها ضد سياسة الحكومة أخذت تصبح متعددة، و صلبة، و موثقة أكثر فأكثر. وأنه من المعقول أن يكون لهذه الإنتقادات الإسرائيلية صدىً خفيف في وسائل إعلامنا ،وكأن الشعور بالذنب، هنا أيضاً، قد شلّ أجهزة الإعلام لدينا.